

انتصار عام ١٩٧٣ ورغم أنه لم تخفف شيئاً عملياً لنا كفلسطينيين كان نقطة تحول استراتيجية في مشاعرنا جميعاً، صحيح أننا لم نر إسرائيل تزول وترحل عن فلسطين ولم نعد إلى بلدتنا ومدننا وقرانا التي هُجر منها أهلنا عام ١٩٤٨ وحتى لم تتحرر المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء وأن كل ذلك الذي حصل عملياً هو تقدم الجيش المصري واجتيازه لقناة السويس وخط بارليف، إلا أننا شعبنا وارتويننا حتى تمام الرضى من هزيمة إسرائيل..

هكذا فهمنا الأمور حينها وصدقنا وآمنا وأقنعنا بكل عقولنا وقلوبنا أن أسطورة إسرائيل وجيشها الذي لا يقهر قد انهارت أمام عظمة وإرادة الجندي العربي الذي خاض معركة معقولة سواء على الجبهة المصرية أو الجبهة السورية، وكانت رؤوسنا جميعاً تكاد تطاول السماء فخراً وعزاً.

ولكن مشاعرنا تلك بدأت تتقلب تدريجياً أمام النبوة الجديدة التي بدأنا نسمعها من الرئيس المصري السادات حول استعداديته للسلام مع إسرائيل.. وكم كانت صدمتنا عظيمة ونحن نسمعه يعلن أنه مستعد لزيارة الكنيست الإسرائيلي، والمصيبة كانت قد أجمتنا تماماً ونحن نسمع المذيع وهو يغطي زيارة السادات للقدس وخطابه في الكنيست أمام الحكومة الإسرائيلية وأعضاء الكنيست في إسرائيل، لم يكن عندنا في الدار جهاز تلفزيون. لذا لم نر تلك الصور ولكن التغطية للحدث في المذيع كانت كافية لصدمننا بصورة أفقدتنا القدرة على إدراك هل كان ذلك حقيقة أم مجرد خيال؟ ويبدو أن الصدمة أصابت العالم العربي بأسره أو في معظمه حيث أن مستوى التناقضات والخلافات التي حدثت بين الأنظمة كانت خطيرة وبعيدة الأثر وبصورة طبيعية فقد كنا كفلسطينيين نميل بكل جوارحنا إلى الصوت المعارض والمضاد والهجومى ضد السادات وضد اتفاقيات كامب ديفيد، حيث أننا كنا نحب أن نسمع لمحطات المعارضة خاصة تلك المحطة التي كانت تبث من بغداد.

الحدث الأهم بالنسبة لنا على مستوى العائلة هو أن الجامعات المصرية قد أغلقت أبوابها أمام الطلبة الفلسطينيين، على خلفية التناقض الكبير بين السادات ومنظمة التحرير المعارضة بقوة للسلام مع إسرائيل، والذي كان معروفاً واضحاً وصريحاً وقد نتوج بأنه قام بعض الفلسطينيين بقتل الكاتب الصحفي المعروف "السباعي" على خلفية ذلك، صدر القرار المصري السياسي بتقليص العلاقات مع الفلسطينيين والذي شمل عدم قبول خريجي الثانوية العامة الفلسطينيين من القطاع في الجامعات المصرية، كما كان من قبل.